CEMEIA
Centre Euro-Méditerranéen
d'Etude de l'Islam Actuel

المملكة المغربية
مؤسسة الملتقى
قيم . تنمية . سلام

الطريقة القادرية البودشيشية

ورقة تقديمية

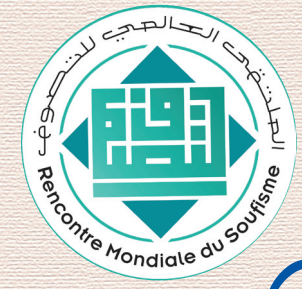

الملتقى العالمي للتصوف

الدورة الثامنة عشرة

18ème

ⵓⵅⵔⵓⵍ ⵓⵎⵓⴰⵣⵓⴰⵢ ⵍⵄⵔ 18 ⵏ ⵜⵜⵓⵔⵓⵍⵉⵣ

RENCONTRE MONDIALE DU SOUFISME

التصوف والقيم الدينية والوطنية
من أجل تأسيس مواطنة شاملة

من 8 إلى 13 ربيع الأول 1445

المرافق لـ 23 إلى 28 شتنبر 2023

يدافع الإنسان منذ استخلافه في الأرض عن حدوده الجغرافية وموارده المعيشية للحفاظ على كينونته المادية، كما يدافع عن هويته الثقافية المبنية على منظومة القيم المؤسسة للأخلاق الجماعية. وهذا التدافع مثلما يقع على مستوى الأمم، -إذ أن كل أمة تسعى للحفاظ على مقدراتها وضمان خصوصياتها- يقع أيضا على صعيد أبناء الوطن الواحد، حسب تدافع المصالح واختلافها، وهو أمر معلوم ظاهر منذ أن وجد الإنسان وإلى أيام الناس هذه، إذ لولا هذا التدافع لماكانت هناك تنمية ولا بناء ولا تطوير للمجتمعات، فهو من جاعلية الله في هذا الوجود، مصداقا لقول الله تعالى: (**وَلَوْلَا دِفاعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعضٍ لَفَسَدَتِ الأَرضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ**) ﴿**البقرة/251**﴾.

غير أن هذا التدافع، يبقى محمودا ما إستند إلى ناظم يؤطره، وليس ذلك سوى ناظم القيم الأخلاقية، إذ لولا القيم التي نحملها بطبيعتنا الفطرية والإنسانية لما استطعنا تدبير تدافعاتنا، فهي التي يمكن أن تجعل منها مجالا للتعاون والتكامل والوحدة، بدل أن تكون سببا للصراع والتصدع والفرقة، لأنها تبني الألفة والإنسجام بين مكونات المجتمع عبر عاطفة مرجعية جامعة، تدفع الأفراد للانخراط بفاعلية ضمن هذه الوحدة، ويصرّفونها عمليا عبر مجموعة من المواقف والقيم التشاركية. فالقيم الأخلاقية هي التي توجه سلوكيات الأفراد إلى ما يتناسب مع ما تطلبه الجماعة وما ترفضه من أحكام تتماهى مع الضوابط الشرعية والعرفية والقانونية، وهي بذلك تتيح للأفراد إمكانية أداء ما هو مطلوب منهم على نحو ما تتطلبه روح الإنتماء لهذه الرابطة الوطنية.

فلا وطنية على الحقيقة إلا بهذه القيم، فالهوية الوطنية لا تكتمل إلا من خلال الهوية القيمية والأخلاقية، لأن الوطنية الحقة لا تتأسس على مجرد الالتزام القانوني فقط، بل لابد أن تستند وتُعضَّد بالمكون القيمي، إذ بالقيم نرتقي بعلاقاتها من الصفة القانونية الجوفاء التي تعتمد على محددي الحق والواجب، إلى أفق أكثر انفتاحا، انسجاما مع هويتنا الإنسانية، وبذلك ننفتح بمواطَنتنا على قيم التآخي والتسامح والتساكن والمحبة، فتصير مواطنة أكثر فاعلية وإنتاجية، كل ذلك بفعل هذه القيم، لأنها بمثابة الروح للجسد، وهي التي توحد كل الانتماءات المختلفة داخل المجتمع الواحد.

والراجح أن منشأ هذه القيم لا يمكن إلا أن يكون فطريا؛ فالفطرة هي الخلقة؛ أي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق. وهي من أقوى المشتركات الجامعة للقيم الإنسانية التي من ضمنها قيم المواطنة التي ألح عليها الشرع في مواطن كثيرة، فالقيم الدينية هي بالأساس قيم ترسخ للوطنية، فالمواطن الصالح لا يكون كذلك إلا من خلال التحلي بقدر من القيم الدينية التي تؤهله ليكون مواطنا على الوجه المطلوب.

وبهذا ندرك محورية القيم الدينية في ترسيخ قيم المواطنة وتفعيلها، لأن "هذه القيم" هي بمثابة طاقة روحية تدفع الإنسان نحو الإنخراط الإيجابي في الورش البنائي للمجتمع من خلال ما يحمله ويتزود به من قيم وأخلاق دينية؛ خصوصا منها ما كان ذا بعد تفاعلي مثل الرحمة والتكافل والمحبة وغيرها، لأنه بفضل هذه القيم الناظمة يدرك الفرد انتماءه للمجتمع من منطلق الأخوة والاشتراك في الإنسانية، وأننا جميعا أبناء آدم.

لقد استطاع الإسلام من خلال ما رسخه من قيم دينية رفيعة أن يقدم تصورا مغايرا للمواطنة والوطنية، خلافا لما كان سائدا ومتصورا حول هذا المفهوم، لأنه لم يبنها على أساس العرق أو الإنتماء القبلي أو غيرها من الاعتبارات التي كانت سائدة، وإنما أسسها على منطق الأخوة الإنسانية، وأيضا على الميثاق التعاقدي الذي يراعي المصالح المشتركة للمواطنين. وطيلة عقود من الزمن كانت القيم الدينية هي الموجه والراعي للمواطنة التي أرساها الإسلام، وقد قدم المسلمون نماذج راقية لروح التساكن والتسامح، بغض النظر عن الجوانب العقدية والثقافية للمواطنين. ويمكن أن نقدم في هذا السياق نموذج **"صحيفة المدينة المنورة"** باعتبارها شاهدا على هذا الأفق الرحب لقيمنا الدينية وتأسيسها لقيم التعايش الإنساني في أبهى صوره بعيدا عن أيّ بواعث من التمييز والإقصاء والتهميش، بحيث يمكن أن نقدم هذه الوثيقة أساسا ونموذجا للمواطنة التعاقدية التي أسسها الإسلام في ظل وجود العديد من الروافد الدينية والحضارية المختلفة التي احتضنتها دولة المسلمين، فكل تلك الروافد تعامل معها المسلمون على أساس راق من القبول والإحترام، بسبب ما تشبعوا به من قيم دينية سامية جعلتهم يقدمون النموذج الأمثل في حسن التعامل والتعايش.

وقد كان للتوجيهات النبوية الأثر البالغ في التشبع والتحلي بهذه الروح، إذ ما فتئ النبي صلى الله عليه وسلم يدعو للوحدة الإنسانية ونبذ كل تمييز، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: **"كلكم لآدم وآدم من تراب"** (سنن أبي داود)، وقوله: **"يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى"** (مسند الإمام أحمد)، وبهذا استطاع أن يبني مجتمعا غاية في التماسك والوحدة، بعيدا عن جميع أنواع التمييز، لا فرق فيه بين مسلم وغير مسلم أو عربي وأعجمي.

وبهذا استطاع الإسلام، عبر هذه الرؤية الأخلاقية، أن يبني مواطنة شاملة؛ للسلوك الإنساني في جميع تفاعلاته؛ سواء في المحيط الاجتماعي، أو البيئي، أو ما يرتبط بجميع النشاطات التي يزاولها الإنسان. وهي أيضا شاملة؛ لأنها تتجاوز المفهوم الضيق للوطن، الذي يستند إلى تمييزات عرقية أو دينية أو قبلية إلى أفق أكثر انفتاحا يتسع ليتعايش فيه الجميع على اختلاف مرجعياتهم في ظل الإحترام المتبادل والتعاون والتكامل. فهذا هو معنى المواطنة التي أرساها الإسلام، مواطنة تراعى فيها القيم الدينية في جميع تجلياتها الإجتماعية والإنسانية والإقتصادية والبيئية والجمالية والفنية وغير ذلك.

وإذا نظرنا إلى طبيعة مجتمعاتنا الإنسانية اليوم، نرى كيف أنها أصبحت -خلافا لما كانت عليه في السابق، بفعل نظام العولمة- مزيجا من البنيات المتباينة، بحيث صارت الأمة الواحدة عبارة عن خليط من الأجناس والأديان والأعراف والثقافات، ومن ثم أصبحت الحاجة أكثر إلى هذه القيم الدينية والوطنية بطابعها الشمولي، من أجل خلق نوع من الألفة والإنسجام بين هذه المكونات. وقد شاع الحديث اليوم عن المواطنة العالمية أو الكونية، إذ أصبحت المجتمعات في أمس الحاجة إلى قيم كونية تشكل نسيجا موحِّدا يضمن التعايش والإنسجام بين الجميع، وهنا يمكن أن نستلهم القيم الدينية لهذاالغرض، لما قدمته من نماذج تاريخية أثبتت فاعليتها في هذا الشأن. ومن جهة ثانية، نحتاج إلى هذه القيم لنتجاوز بها كثيرا من الاختلالات التي تعرفها مجتمعاتنا في العديد من مرتكزات الحياة

بفعل سلوكيات كثير من الأفراد التي لم تعد تراعي الأبعاد الوطنية ولا القيم الأخلاقية، وهو ما عاد بالضرر على كثير من المجالات، ومن ثم نحن في حاجة إلى هذه القيم للرفع من منسوب البناء والتنمية والإعمار لأنها تضمن التفاني في العمل والسعي بجد لما فيه الصالح العام.

وإذا كانت هذه القيم الوطنية بسندها الديني الأخلاقي البيِّن متوافقا حولها في الأمة الواحدة وتحتاج إلى بناء وهندسة من أجل تأمين حضورها واستمرارها في المعيش اليومي، حق لنا أن نتساءل اليوم عن دور التصوف في ترسيخ ذلك وتعميقه والإسهام في البناء جنبا إلى جنب مع باقي الأشكال التربوية الفاعلة والناجعة. خاصة وإنه من حيث هو علم للتزكية والتربية الروحية يكتنز مقومات عديدة يمكن استثمارها في ورش بناء القيم الدينية والوطنية، كما أن الصوفي قادر على الدعوة إلى هذه القيم والتمكين لها بفعل ما يحمله من مؤهلات روحية وسلوكية ناجعة في التفاعل مع آليات العصر وما يلائم سياق الحياة بمختلف مجالاتها.

ولطالما كان المغرب بما يحمله من تميز في هذا الشأن نموذجا متفردا في تحقيق هذا التنوع، حيث تعايشت فيه كل الأطياف العرقية والدينية بتوادٍّ وانسجام تحت راية هذا الوطن، وهو إلى اليوم يعد نموذجا في ذلك تحت القيادة الرشيدة لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله الذي ما فتئ يحمل لواء العمل الجاد والإصلاح ويرفع شعار اليد الممدودة للخير والتآخي والتعاون المثمر. فبهذه القيم استطاع المغرب أن يقدم نموذجا عمليا للقيم الدينية والوطنية في بعدها الكوني العالمي.

استنادا إلى كل ما تقدم، نطرح القيم الدينية والوطنية موضوعا لهذه **الدورة الثامنة عشر من الملتقى العالمي للتصوف** من أجل تداولها ومدارستها من قِبل الباحثين والمهتمين؛ إذ هو موضوع يتسم بضرورة المعالجة الحكيمة والمتبصرة لما نراه في حياتنا اليومية من مظاهر سلوكية ومواقف فكرية معلنة تنم عن وجود خلل في البناء القيمي لمجتمعاتنا والذي يظهر في كثير من المظاهر والتجليات، وهو

ما يجعلنا في أمس الحاجة إلى مدارسة هذه الاختلالات مع ضرورة التماس الحلول المناسبة لها. والكشف عن مرتكزات المواطنة الشاملة التي بقدر ما نتخذها مجالا للتنمية فإنها تصير أفقا للتعايش والتساكن خاصة في ظل التصدعات التي تعانيها مجتمعاتنا الإنسانية اليوم.

محاور الملتقى:

1 - مقدمات نظرية ومفهومية عن القيم والمواطنة

2 - القيم الدينية والوطنية وأصولها الشرعية

3 - المواطنة بين الأبعاد الدينية والقانونية

4 - الحاجة إلى القيم الدينية والوطنية

5 - القيم الدينية والوطنية وأبعادها الاجتماعية والتضامنية

6 - القيم الدينية والوطنية وأبعادها الجمالية والثقافية والفنية

7 - القيم الدينية والوطنية من خلال قاطرة الرياضة

8 - المواطنة البيئية والتنمية المستدامة

9 - قيم المواطنة من المحلية إلى العالمية

10 - القيم الدينية والوطنية في العالم الافتراضي: الرهانات والآفات والحلول

11 - مغاربة العالم وإشاعة القيم الدينية والوطنية

12 - القيم الدينية والوطنية وإشاعة روح التسامح والحوار بين الأديان

13 - التصوف ودوره في ترسيخ القيم الدينية والوطنية

14 - التصوف والمواطنة الشاملة: أصول ومداخل

15 - الزاوية المواطِنة: معالم وأعلام

16 - رجالات التصوف ودورهم في ترسيخ القيم الدينية والوطنية: مواقف وآثار.